

السؤال

من هو الصحابي؟ وهل صحيح أن الإمام الذهبي قال : بأن آخر صحابي يموت هو عيسى بن مريم؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

الصحابي هو: من لقي (أو رأى) النبي صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن به ، ومات على ذلك .
فمن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر ، ثم أسلم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم: فلا يعد من الصحابة .
وكذا من صحبه ، أو رآه مؤمناً به ، ثم ارتد بعد ذلك ، ولم يعد إلى الإسلام ، فلا يعد من الصحابة .
ينظر : " نزهة النظر " لابن حجر (ص 88- 98) ، " فتح المغيث " للعراقي (ص 343) ، " تدريب الراوي " للسيوطي (2/191) .

ثانياً :

تكلم جماعة من العلماء في عيسى ابن مريم عليه السلام : هل يعد من الصحابة ؛ لأن تعريف الصحابي ينطبق عليه ، أم لا ؟
فأثبت ذلك طائفة ، ونفاه آخرون .
قال الذهبي رحمه الله في "تجريد أسماء الصحابة" (1/432) : " عيسى بن مريم صحابي ونبي ؛ فإنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وسلم عليه ، فهو آخر الصحابة موتاً " انتهى .
وقال السبكي رحمه الله في "الطبقات" (9/ 115):
" قَالَ لِي شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ مَرَّةً: مَنْ فِي الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْإِجْمَاعِ ؟
فَقُلْتُ: يَفِيدُنَا الشَّيْخُ ؟

قَالَ: عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَنْزِلُ عَلَى بَابِ دِمَشْقَ، وَيَأْتِمُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ
بِإِمَامِهَا، وَيَحْكُمُ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ " انتهى .

وقال الحافظ رحمه الله في "الإصابة" (4/ 634):

" ذكره الذهبي في "التجريد" ، مستدركا على من قبله، وألغزه القاضي تاج الدين السبكي في قصيدته في آخر القواعد له، فقال:
من باتفاق جميع الخلق أفضل من ... خير الصحاب أبي بكر ومن عمر

ومن عليّ ومن عثمان وهو فتى ... من أمة المصطفى المختار من مضر" .

ثم نقل الحافظ عن علاء الدين مغلطاي الحنفي [أحد حفاظ الحديث والمؤرخين توفي سنة 762 هـ] أن عيسى بن مريم وغيره من الأنبياء لا يعدون من الصحابة . ثم مال الحافظ ابن حجر إلى عد عيسى ابن مريم فقط من الصحابة دون سائر الأنبياء ، لأنه رفع حيا إلى السماء ، واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج، وسينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة الإسلام ، ثم قال : "فبهذه الثلاث يدخل في تعريف الصحابي، وهو الذي عول عليه الذهبي" انتهى .

ثالثا :

البحث في هذه المسألة إن كان من أجل تحرير تعريف الصحابي وضبط ألفاظه ، فهذا لا بأس به . أما إن كان من أجل إثبات الصحبة أو نفيها عن عيسى عليه السلام ، فهذا البحث لا فائدة من ورائه ، فإن عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل ، وهي أعلى منزلة للبشر ، فإثبات الصحبة له لن يزيده رفعة . ولذلك أنكر الشيخ ابن عثيمين هذا القول ، وهو ظاهر ، فإنه إذا كانت له منزلة أعلى من منزلة الصحبة بالإجماع ، فما وجه التكلف في عد ذلك . قال رحمه الله :

"أرى أن هذا من التكلف، كوننا نعد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من الصحابة من التكلف؛ لأن جميع الأنبياء رأوا النبي عليه الصلاة والسلام وسلموا عليه ، يعني: رآه كثير منهم في ليلة المعراج ، والرسول عرج به بجسده ، ورآهم حقاً ، وكلمهم وكلموه ، وسلم عليهم وسلموا عليه، فهل نقول: إن آدم صحابي، ويحيى صحابي، وعيسى صحابي، وموسى صحابي وإبراهيم صحابي؟! "

ثم إن وصف عيسى عليه الصلاة والسلام بأنه نبي رسول من أولي العزم أفضل من أن نصفه بأنه صحابي، هو في غنى عن أن يوصف بأنه صحابي .

أما عيسى بن مريم : فهو مثل الرسول عليه الصلاة والسلام في منزلته ، وإن كان الرسول أفضل الرسل ، لكنه في منزلة الرسالة ، أقوى من منزلة الصحبة وأفضل ، ولو أردنا أن نقول هكذا لقلنا: كل من لاقاهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة المعراج كلهم صحابة .

أرى: أن هذا من التنطع ومن التكلف " انتهى من "لقاء الباب المفتوح" (96/ 34).
والله أعلم .